الأفلام الشهيرة المنتجة حول أعمال يوسف إدريس

د. آصف أحمد كمار[1]

ملخص

يعتبر السينما أيسر الطرق لتثقيف الجمهور وتربيتهم وإيصال تجارب الحياة إلى عامة الشعب وخواصهم. ومن الحقائق الثابتة أن الصور المتحركة الحيوية تترك آثارا بعيدة المدى على نفوس الجمهور. فالرؤية يكون أبلغ من المسموع أو المقروء، فأصبحت السينما ظاهرة العصر وأصبحت أهم وسيلة الترفيه عبر العالم وقد ساعدها التكنولوجية الحديثة. فظهرت كثير من الأفلام حتى يتمكن بها من نشر الوعي بين الأشخاص حول حقوق الإنسان والتعليم والتسامح بين الناس وتمكننا على التعامل مع قضايا مختلفة مثل حقوق الإنسان، وعمالة الأطفال، والمرأة العاملة، وحب الوطن، ومكافحة الفساد، والرشوة وما إلى ذالك. أما السينما العربية فقد نشأت وترعرعت في مصر ووجدت قبولا كبيرا عند الجمهور. ومن أهم سمات السينما العربية المصرية أنها ظهرت روايات وقصص عديدة للأدباء البارزين على الشاشة فقد قام في إخراجها في صورة الأفلام كثير من الفنانين الكبار. وفي هذه المقالة سأذكر بعض روايات والقصص ليوسف إدريس ومساعي المخرجين في تحويلها إلى أفلام.

الكلمات المفتاحية: يوسف إدريس، الأعمال الشهيرة، الأفلام السينمائية، الوعي الاجتماعي والسياسي.

بدأ تاريخ السينما المصرية في أواخر القرن التاسع عشر للميلادي ١٨٩٦م، وكان أول عرض سينمائي بالإسكندرية وكان فيلما فرنسيا قصيرا، ثم تطورت السينما المصرية بأشكالها المتنوعة وانتقلت منها إلى القاهرة حيث بدأت المرحلة الجديدة في

[1] المحاضر المتعاقد في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر كشمير.

تاريخها [1]. وكانت أهم تجربة في السينما في مرحلتها الابتدائية هي فيلم "زينب" الذي أخرجه على السينما المخرج الشهير محمد كريم. كان محمد كريم من أهم المخرجين في تاريخ مصر السينمائي درس هذا الفن في ألمانيا وخلال دراسة السينما قرأ رواية زينب لمحمد حسين الهيكل فأعجبته هذه القصة وتأثر بها تأثرا كثيرا وأراد إخراجها على الشاشة وحقق حلمه وقام بتحويلها إلى فيلم عندما عاد إلى مصر سنة ١٩٢٦م، وعرضها في السينما وسجل بذلك بداية العلاقة بين السينما والأدب في مصر [2].

اشتهر المخرج محمد كريم في العالم السينمائي وحصل على العديد من الجوائز ومن أهمها جائزة الدولة من الإنتاج والإخراج عن فيلم "جنون الحب" كما نال وسام الدولة في الفنون في عام ١٩٦٣م.

ثم ظهرت على الشاشة أعمال كثيرة للأدباء الكبار وأتيحت للسينما المصرية فرصة كاملة للتطور ولإرساء قواعدها الفنية ثم ازداد عدد الأفلام في السينما ودخل إليها الأغاني واستمر هذا الوضع حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢م، التي دخلت بعدها السينما المصرية في المرحلة الدقيقة وكانت هذه المرحلة مليئة بالقلق وعلى الرغم منها قدمت في هذه الفترة الأفلام الواقعية والوطنية، كما يشير إليه جلال الشرقاوي في مقالته قائلا:

> "قامت ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢م وأحدثت تغيرا اجتماعيا كبيرا وأنشئت وزارة الثقافة مؤسسة دعم السينما. وانعكست أحداث هذه الفترة وما صاحبها من تغيرات اجتماعية في بعض الأفلام وظهرت هذه الأفلام عن الاستعمار الإنجليزي"[3].

---

[1]. جلال الشرقاوي، تاريخ السينما المصرية، مجلة الهلال، العدد١١، ١ نوفمبر ١٩٦٦م، ص ٣٨

[2]. رجاء النقاش، أدباءنا والسينما من زينب إلى الطريق، مجلة الهلال، العدد١٠، ١ أكتوبر ١٩٦٥م، ص ٢٠-٢١

[3]. جلال الشرقاوي، تاريخ السينما المصرية، مجلة الهلال، العدد١١، ١ نوفمبر ١٩٦٦م، ص ٤٤

وبعد هذه الثورة ظهرت الأعمال الأدبية الكثيرة للروائيين العرب البارزين إلى الفيلم السينمائي، ومن المعالم البارزة في هذه المرحلة الظهور على الشاشة قصص الأدباء البارزين مثل "ظهور الإسلام" و"دعاء الكروان" للدكتور طه حسين، و"درب المهابيل" و"بداية ونهاية" و"زقاق المدق" لنجيب محفوظ. وكذلك ظهرت قصة "إني راحلة" و" رد قلبي" و"بين الأطلال" و" أم رتيبة" ليوسف السباعي، و"الرباط المقدس" لتوفيق الحكيم، و"الناس اللي تحت" لنعمان عاشور، كما ظهرت قصة "وا إسلاماه" لعلي أحمد باكثير و"لا وقت للحب" ليوسف إدريس، و"غصن الزيتون" و"شمس لا تغيب" لمحمد عبد الحليم عبد الله[١].

وأما أعمال يوسف إدريس الشهيرة التي ظهرت على الشاشة فقد قدمت في أول وهلة روايتيه الشهيرتين وهما الحرام، والعيب، ثم ظهرت ثلاثة أفلام مبنية على ثلاث روايات قصيرة له وهي فيلم "لا وقت للحب" عن رواية "قصة حب"، و"قاع المدينة" ثم ظهر فيلم "حلاوة الروح" عن رواية العسكري الأسود، وتابعتها أربعة أفلام عن قصص قصيرة وهي "حادثة شرف، والنداهة، و"على ورق سيلوفان"، و"العسكري شبراوي" وأما الأخير فأخرج عن قصة "مشوار"[٢]. كان يوسف إدريس أديبا بارزا ومنفردا بين معاصريه ترك آثارا مؤثرة في كل فن من الفنون الأدبية واستطاع في كل مجال أن يعبر عن الناس تعبيرا صادقا فنيا. وإنتاجاته الأدبية فتحت بابا جديدا في تاريخ الأدب العربي الحديث. قدم في أدبه عالما متكاملا للحياة المصرية وصور المجتمع صورة واقعية وعبر عما كان يدور حوله من التحولات لأنه عاصر وعايش فترة التحولات السياسية والاجتماعية في مصر، شهدت أعماله رواجا كبيرا بين المثقفين ولذا نجد أن بعض أعماله الشهيرة حولت إلى الأفلام وقدمت على السينما في مختلف الأدوار، وهذه الأفلام

---

١. جان الكسان، السينما في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٢م، ص ٥٥

٢. http://www.hayatweb.com/article/154146

ساعدت في معالجة القضايا المختلفة. فكان لها دور حيوي في تشكيل مجتمع جيد لتطوير حياتنا وتحريكه على الطريق الصحيح، لأنها تحاول دائما أن تقترب من الحقيقة وعواملها في المجتمع الإنساني. فكانت هذه الأفلام أفضل وسيلة لنشر الوعي في المجتمع الحديث سواء كان سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا. والآن أنا أذكر بعض الأفلام الشهيرة التي أخرجت عن أعمال يوسف إدريس وظهرت على السينما وتركت آثارا قوية في حياة الناس.

فيلم "لا وقت للحب"

هذا الفيلم أول الأفلام المنتجة حول أعمال يوسف إدريس، أخرجه أبوسيف عن رواية "قصة حب" وهي أول روايات يوسف إدريس التي ظهرت على الشاشة، حولها صلاح أبوسيف لفيلم سينمائي باسم "لا وقت للحب" وأخرجها للسينما في عام ١٩٦٣م بمساعدة أحمد السبعاوي، والفيلم يحكي عن فترة المقاومة والكفاح الشعبي المسلح ضد الاحتلال الإنجليزي في منطقة القناة، ويصور تلك الأحداث التي أدت بعدما إلى قيام ثورة يوليو١٩٥٢م والتي غيرت مسار الحياة السياسية في مصر. وكتب لها سيناريو لوسيان لامبير، ومن الممثلين لهذا الفيلم: رشدي أباظة، وفاتن حمامة، عصمت محمود، وصلاح جاهين.[١]

وأما الرواية فكتبها يوسف إدريس وجسد فيها حياة صديقه الدكتور حمزة البسيوني وجعله بطلا حقيقيا لهذه الرواية الذي قام بالمقاومة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني واشترك في الكفاح المسلح من أجل تحرير الوطن. كان حمزة معتقلا مع يوسف إدريس فحكى له ما حدث فأعجب يوسف إدريس بحكايته ووعده بأن يحولها في الرواية ثم بعد بعض سنوات من نشرها تحولت إلى فيلم سينمائي.

فيلم "الحرام"

هذا الفيلم يحتل مكانة متميزة بين أفضل الأفلام في تاريخ السينما المصرية. أخرج

---

١. https://www.marefa.org/لا_وقت_للحب_(فيلم)

هذا الفيلم عن رواية الحرام وظهرت على الشاشة عام ١٩٦٥م. وقد أخرجه هنري بركات وكان هذا الفيلم من أبرز أعماله في السينما إلى جانب فيلم "دعاء الكروان"، وأما فيلم الحرام فيعد من أفضل الأفلام المأخوذة عن روايات وقد نجح مخرجه أن يحافظ على جوهر الرواية كما قام بتقديم العمل السينمائي الفني المتكامل. كتب السيناريو والحوار لهذا الفيلم الكاتب المخضرم "سعد الدين وهبة"، صاحب سكة السلامة والذي استطاع بذكاء أن ينقل روح النص. ينتمي هذا الفيلم إلى مدرسة الواقعية الاجتماعية ويهتم بالطبقة الكادحة من العمال والفقراء.

يبدأ الفيلم مثل الرواية باكتشاف جثة طفل حديث الولادة، ثم يعرف فكري أفندي هذا الخبر ويريد أن يتعرف على أم الوليد، وظل يبحث عن تفاصيل الناس وحتى عامة الناس. وبدأ يشك في الناس الذين كانوا يأتون إلى قرية للعمل وكانوا أكثر الناس فقرا، وهكذا تابع الفيلم الرواية في بناءها وموضوعها.

والمخرج هنري بركات خرج بالفيلم إلى أماكن طبيعية ورصد فيها حياة طبقة الفقراء المطحونين، وهذا الفيلم يعطينا سجلا للحياة اليومية في قرية صغيرة ويعكس تصوير البطلة ومعاناتها في المجتمع. فيحكي هذا الفيلم عن قصة عزيزة تمثلها بطلة هذا الفيلم "فاتن حمامة"، تلك الفلاحة الفقيرة والتي تتحمل قدرا كبيرا من الضغوط النفسية والاجتماعية والمعيشية في سبيل لقمة العيش لكي تقوم بإطعام عائلتها والفيلم يرصد أيضا ذلك السقوط الأخلاقي من خلال سقوط عزيزة. السقوط الذي يقع في إطار العلاقات السائدة في الريف، اقتصادية كانت أم اجتماعية. وبطلة الفيلم فاتن حمامة اكتسبت شهرة فائقة حتى وصلت الى مرتبة النجوم العالميين[١].

وأما الرواية فتتناول الموضوعات الهامة وتلقي ضوءا على المشاكل والأمراض الاجتماعية المختلفة مثل الفقر والظلم وغياب العدالة الاجتماعية والنفاق. وكل هذه القضية تظهر في الناس بسبب نظامهم الاجتماعي الناقص كما تصورها هذه الرواية في

---

١. http://www.hayatweb.com/article/154146

العلاقة بين المرأة والخطيئة.

فيلم "العيب"

هذا الفيلم "العيب" واحد من الأفلام القليلة التي أخرجها للسينما جلال الشرقاوي المخرج المسرحي الشهير. فأخرجه عن رواية "العيب" وهذه الرواية ليوسف إدريس وجدت طريقها إلى السينما عام ١٩٦٧م، وأعد له السيناريو رمضان خليفة الذي كتب أيضا سيناريو فيلم "قنديل أم هاشم" ليحيى حقي، وأما الحوار فكتبه يوسف إدريس بنفسه فى تجربة لم يكررها ثانية في الأعمال المأخوذة عن أدبه[١].

فحولت هذه الرواية إلى الفيلم السينمائي بعد سنوات قليلة من نشرها. بطولة هذا الفيلم هي الممثلة لبنى عبد العزيز التي تعلب دور سناء في هذا الفيلم، وحاول هذا الفيلم أن يصور مأساة الموظفة التي عينت كاتبة في الإدارة الحكومية وكانت تعمل بين الرجال، وهذه المرأة الفاضلة أصبحت فاسدة بسبب تحريض الذكور من حولها ويصور الفيلم مرحلة نقل الإنسان من الفضيلة إلى الرذيلة كما يصور التحديات التي تواجهها النساء العاملات بين الرجال.

فيلم "حلاوة الروح"

إن رواية "العسكري الأسود" رواية سياسية شهيرة التي حولها إلى الفيلم السينمائي المخرج أحمد فؤاد باسم فيلم "حلاوة الروح". وفي هذه الرواية القصيرة نلتقي بالدكتور شوقي صاحب الشخصية المركبة في انتكاستها من التمرد إلى الاستكانة، ومن إنكار الذات والتضحية إلى الابتزاز وطلب الرشوة. وهو يتمثل المثقف الذي تحطم بفعل سلطة غاشمة تقمع من يخالفونها، وهي الرواية التي وصفها النقاد بأنها "أصدق عمل أدبي مصري عن اضطهاد أصحاب الرأي" وقدم الفيلم وجهين للسلطة متمثلة في رجال البوليس السياسي وتطرق إلى الحياة الشخصية والعائلية لكبار رجال البوليس السياسي دون هدف درامي ومتحولا إلى مجرد ثرثرة تبتعد عن الهدف الأساسي

---

١. http://www.hayatweb.com/article/154146

للقصة[1].

وأما الرواية فصور فيها المؤلف التعذيب والإرهاب على المعتقلين السياسيين في السجون العربية وجاءت قصته دعوة لإيقافه وتحذيرا حارا بأن التعذيب لا يدمر الضحايا وحدهم بل يدمر ويخرب جلاديهم قبلهم ومعهم، وكان من الناحية الأخرى إعلانا عن تعاطف المؤلف مع رفاقه القدماء المضطهدين.

فيلم "قاع المدينة"

أخرجه للسينما المخرج الشهير حسام الدين مصطفى عن القصة القصيرة "قاع المدينة"، فهذا الفيلم يحمل نفس الاسم. وأما القصة فهي تتناول علاقة القاضي "عبد الله" الثري الأعزب العاجز جنسيا مع الخادمة "شهرت"، يتراءى للقاضي أن شفاءه لن يكون إلا على يدي "شهرت" أوعلى جسدها، فهذه القصة عن الجنس باعتباره موضوعا يمكن أن يكون محل تفسير نفسي واجتماعي.

فيلم "النداهة"

أخرج حسين كمال فيلم النداهة للسينما وأعد له السيناريو "عاصم توفيق" و"مصطفى كمال". وأما القصة فهي قصة شهيرة ليوسف إدريس من مجموعة قصصه التي تحمل نفس الاسم "النداهة" ونشرت عام ١٩٦٩م.

خاتمة

وهكذا وجدنا أن المخرجين الكبار قاموا بتحويل بعض الأعمال الرائعة إلى الأفلام السينمائية وقدموها على الشاشة لتخليص المجتمع من الفساد الأخلاقي وتدعيم القيم الاجتماعية ومعاييره، كما عالجت هذه الأفلام بعض قضايا اجتماعية وسياسية وقامت بإدانة الاستعمار وإنهاض المشاعر القومية العربية بدرجات مختلفة وكان هذا اتجاها جديدا في السينما العربية في تلك المرحلة. وهكذا تحيي لنا هذه الأفلام التاريخ

[1]. يوسف-إدريس-ظلمته-السينما-حيًا-وميتًا/https://middle-east-online.com

السياسي والاجتماعي للأمة العربية منذ الأزمنة الغابرة وتفصل لنا الأحداث التي كانت لها آثارا بالغة في ذاكرة القوم غير أنها بقيت معقودة. وكذلك تعطينا هذه الأفلام الوعي عن حقوقنا وواجباتنا، وهي تبعث الشعب ضد الشرور والسيئات كما أنها تقوم بحل القضايا المختلفة. ولا شك أن هذه الأفلام حققت نجاحا كبيرا وأصبحت أفضل نماذج السينما المصرية حينذاك.

المصادروالمراجع

١. أبو عوف، عبد الرحمن: يوسف إدريس وعالمه في القصة القصيرة والرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م.

٢. إدريس، يوسف: الحرام، مكتبة مصر القاهرة.

٣. إدريس، يوسف: العسكري الأسود، مكتبة مصر القاهرة.

٤. إدريس، يوسف: العيب، مكتبة مصر القاهرة.

٥. إدريس، يوسف: جمهورية فرحات، الأعمال الكاملة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، دار الشروق البيروت والقاهرة.

٦. إدريس، يوسف: قصة حب، الأعمال الكاملة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، دار الشروق البيروت والقاهرة.

٧. البشري، طارق: الحركة السياسية في مصر١٩٤٥-١٩٥٣، دار الشروق القاهرة، طبعة ثانية جديدة ٢٠٠٢م.

٨. جان الكسان، السينما في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٢م

٩. جلال الشرقاوي، تاريخ السينما المصرية، مجلة الهلال، العدد ١١، ١ نوفمبر ١٩٦٦م

١٠. الرافعي، عبد الرحمن: مقدمات ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢م، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م .

١١. رجاء النقاش، أدباءنا والسينما من زينب إلى الطريق، مجلة الهلال، العدد١٠، ١ أكتوبر ١٩٦٥م

١٢. الطيار، رضا: الرواية العربية في السينما، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والأعلام ١٩٨٣م.

١٣. عطية، أحمد محمد: الرواية السياسية: دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٨١م.